الدرس الخامسوالأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

يقول شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

بابٌ قول الله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [الأعراف:١٨٩] الآية

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبَّدٍ لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب» . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» رواه ابن أبي حاتم. وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته». وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحا﴾ قال: «أشفقا أن لا يكون إنسانا». وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

****

هذه الترجمة ((**بابٌ قول الله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾**)) هي نظير الترجمة التي قبلها من حيث وجوب شكر الله سبحانه وتعالى على نعمائه والاعتراف بأن الفضل فضله والمنَّ منُّه سبحانه وتعالى والعطاء عطاؤه.

وفي الترجمة السابقة فيها قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾[فصلت:٥٠] ؛ وهذا فيه جحد إنعام المنعِم وعدم نسبة النعمة إليه سبحانه وتعالى وأن يقول القائل عند حلول أو حصول النعمة "هذا ورثته كابرًا عن كابر" ، أو يقول "أنا حقيق به ، أو أنا جدير بذلك" أو نحو ذلك مما يدل على عدم اعتراف هذا بنعمة الله سبحانه وتعالى . وفي هذه الترجمة بيَّن رحمه الله تعالى أن من شكر الله سبحانه وتعالى ومن توحيده عز وجل فيما يتعلق بنعمة الولد خاصةً أن لا يُعبَّد لغير الله ، أن لا يعبَّد إلا

للمتفضل بالولد والمنعِم به سبحانه وتعالى ؛ فمن عبَّد ولده لغير الله سبحانه وتعالى وقع في الشرك ، وقع في أمرٍ فيه منافاة لما يجب أن يكون عليه العبد المنعَم عليه من توحيدٍ وإخلاصٍ لله سبحانه وتعالى .

فالولد نعمة وهبة ومنَّة ربانية كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى:٤٩-٥٠] أي منهم من يمن عليه بالبنات دون البنين ، ومنهم من يمنّ عليه بالبنين دون البنات ، ومنهم من يكرمه بالبنين والبنات ، ومنهم من يكون عقيمًا لا يعطى من هذا ولا من هذا . فالولد هبة ربانية ومنة من الله سبحانه وتعالى ، فإذا أراد الأب أن يسمي ولده باسمٍ فيه تعبيد فلا يكون التعبيد إلا لله ، لا يكون التعبيد إلا للمنعِم سبحانه وتعالى ، فهذا الولد عبدٌ لله سبحانه وتعالى ؛ أي عبد لربوبية الله فهو معبَّد مذلل طوع تدبير الله سبحانه وتعالى وتسخيره ، ويرجى إن شاء الله أن يكون عبدًا لألوهية الله بحيث يخلص دينه لله سبحانه وتعالى ويفرِد ربه سبحانه وتعالى بالعبادة . فإذا عُبِّد الابن لغير الله سبحانه وتعالى كأن يقال "عبد النبي أو عبد الحسن أو عبد علي أو عبد عمر أو عبد الكعبة أو عبد البيت" أو غير ذلك هذا كله من الشرك بالله جل وعلا ، لأن تعبيد الأبناء لا يكون إلا للمنعِم بالأبناء والمتفضل سبحانه وتعالى ، فلا يعبَّد إلا لله عز وجل ؛ فمن عبَّد ابنه لغير الله عز وجل وقع في الشرك فيما هو منافٍ لتوحيد الله سبحانه وتعالى ، وأيضًا في هذا تعلقٌ بكفران النعم ، لأن المنعم بهذا الولد هو الله سبحانه وتعالى وحده .

وجعل رحمه الله تعالى الترجمة هذه الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ ويتضح المعنى بقراءة الآية قبلها قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩١] ؛ فالسياق كله في توحيد الله سبحانه وتعالى والتحذير من الإشراك به ، ومن المعلوم أن من طريقة القرآن في تقرير التوحيد الاستدلال عليه بربوبية الله وتفرده بالخلق والرزق والإنعام والمن والعطاء جل في علاه ، ومن ذلكم تفرده سبحانه وتعالى بخلق آدم وحواء وما تناسل منهما من ذرية ، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أي أيها النساء والرجال عبر الأجيال .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الذي هو آدم عليه صلوات الله وسلامه ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ أي النفس الواحدة الذي هو آدم ﴿زَوْجَهَا﴾ التي هي حواء . وبيَّن جل وعلا أنَّ خلْق حواء من آدم لغاية وحكمة بيَّنها في قوله ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي تطمئن نفسه إليها وترتاح لأنها منه .

قال: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ أي جامعها وعاشرها ، ومن نعمة الله سبحانه وتعالى أن هذا التناسل في الذرية وبين الذرية جعله سبحانه وتعالى بهذه الشهوة وبهذه المعاشرة بين الزوجين .

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ ومن المعلوم أن حمل المرأة أول ما يكون يكونُ خفيفًا ، حتى إن المرأة لتحمِل ولا تدري أنها قد حملت ، وأول ما يكون الحمل نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يكبر ويعظم في بطن المرأة ورحمها .

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أي ثقل بطنها بالحمل بأن كبر ، فلما أثقلت حينئذ أدركهما حب الولد وخروجه سليمًا ومعافى وصحيحًا ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ وهذا فيه أن الواجب على العبد أن يعترف بنعمة الله عليه ومنّه ومن ذلك نعمة الحمل ونعمة الولد وخروجه أيضا سليما صحيحًا معافى ؛ هذه كلها نعم تستوجب شكر المنعِم والمتفضل سبحانه وتعالى .

قال: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ؛ جعلا له شركاء فيما آتاهما: بأن عبَّداه لغير المنعِم ، وهذا يقع كثيرًا في الذرية بأن يعبَّد الولد لغير الله سبحانه وتعالى ، وفي الجاهلية تكثر الأسماء المعبَّدة لغير الله عز وجل .

وأجمع أهل العلم كما سيأتي أنه لا يجوز أن يعبَّد لغير الله ، لأن الله سبحانه وتعالى وحده هو المنعم والمتفضل فلا يكون التعبيد إلا له جل في علاه . ويكون أيضًا هذا الشرك في غير التعبيد ؛ بأن تضاف هذه النعمة لغير الله عز وجل ، أو أن يكون الشكر على هذه النعمة لغير الله سبحانه وتعالى ، إلى غير ذلك من الصور التي قد تقع وتكون في الذرية عند حصول هذه النعمة ووجود هذه المنة .

قال: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

- قوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ قيل إن الضمير هنا يعود على آدم وحواء ، وأن هذا الأمر وقع منهما كما سيأتي في الرواية التي ساقها المصنف عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ويروى أيضا في ذلك حديث يُرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث معلول لا يثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه كما فصَّل ذلك الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية . فقيل إن الضمير يعود على آدم وحواء استنادًا إلى أن أول السياق كان في آدم وحواء واستنادًا إلى الرواية التي وردت في ذلك .
- وقيل وهو الأظهر والله تعالى أعلم أن قوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ هذا انتقال من النوع إلى الجنس ؛ فكان الحديث في الآية التي قبلها عن آدم وحواء ثم جاء الاستطراد في السياق منتقلًا إلى الجنس ، فقوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ أي هذا ما يقع ويوجد في كثير من الذرية ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ . قال ابن القيم رحمة الله عليه في كتابه التبيان : «فاستطرد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما»

أي أن السياق فيه استطراد بحيث انتقل من الحديث عن النوع إلى الحديث عن الجنس الذين هم الذرية ؛ مَن وقعوا في الشرك من الذرية . ويقول رحمة الله عليه في كتابه روضة المحبين : «فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء ، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما . ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا -قال رحمه الله- فإن الله سبحانه اجتباه أي آدم وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك» ، ونحو هذا التقرير الذي ذكر رحمه الله يوجد عند غيره من علماء التفسير منهم الحافظ ابن كثير ، ومنهم أيضا الشنقيطي رحمه الله ، وابن سعدي رحمه الله ، وغيرهما من أهل العلم ؛ وهو الأظهر والله تعالى أعلم أن السياق في قوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ فيه الاستطراد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من الذرية فهو انتقال من النوع إلى الجنس .

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) ﴾ وهذا مما يوضح أن السياق فيه انتقال من النوع إلى الجنس ، وفيه استطراد من ذِكر الأبوين إلى ذكر الذرية ؛قال ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ هذا كله حديثٌ عمن وقع في الشرك من الذرية .

مراد المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية الكريمة : بيان أن تعبيد الولد لغير الله سبحانه وتعالى كأن يعبَّد كما في الجاهلية للعزى ومناة وغير ذلك ، أو يعبَّد عند بعض الجهال والضلَّال لبعض المعظمين؛ كأن يعبَّد للنبي أو الحسين أو علي أو غير ذلك أو بيت الله سبحانه وتعالى ، فهذا كله من الشرك المنافي للتوحيد كما تدل لذلك الآية الكريمة التي ساقها رحمه الله وأتبعها بحكاية الإجماع على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله : **قال ابن حزم:** «**اتفقوا** -أي أهل العلم- **على تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير الله ، كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك**» أي عبد النبي وعبد علي وعبد الحسين وعبد البيت وغير ذلك من الأسماء التي عبِّدت لغير الله ؛ فهذا كله محرم لما فيه من المنافاة للتوحيد ووجوب أن لا يكون التعبيد إلا لله سبحانه وتعالى الذي هو المتفضل والمتفرد بالإنعام جل في علاه .

قال ابن حزم : «**حاشا عبد المطلب**» أي يستثنى من ذلك عبد المطلب ، ومراده بـ«حاشا عبد المطلب» أن هذا الاسم لم يقع عليه إجماع وإنما وقع فيه خلاف ؛ فمن أهل العلم من أجاز هذا التعبيد ومنهم من منعه ، فقوله «حاشا عبد المطلب» أي أنه لم يكن داخلًا فيما أجمع عليه لأن فيه خلاف في ذلك، فمن أهل العلم من أجازه ومنهم من منعه . والصحيح المنع وأنه لا يجوز لعموم الأدلة الدالة على ذلك وأنه لا فرق بين أن يعبَّد للمطلب أو يعبَّد للأسماء الأخرى ، بل ربما بعض الأسماء أولى إن جاز ذلك أو ساغ ذلك ، لكن الصحيح أنه لا يجوز أن

يعبَّد لغير الله سبحانه وتعالى بما في ذلك عبد المطلب ، أما قول النبي عليه الصلاة والسلام ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)) فهذا كما قال أهل العلم يجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء ، فالأسماء التي كانت في الجاهلية عندما يخبَر عن أهلها يخبَر عنهم بأسمائهم كما هي ، ولو لم يخبَر عنهم بأسمائهم كما هي لم يعرفوا ، لأن الشخص إنما يُعرف باسمه ، فيجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء ؛ فهو يذكر ذلك إخبارًا أن هذا هو اسمه الذي عُرف به ، فيجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء ، فالصحيح أنه لا يجوز أن يعبَّد لغير الله لا بهذا الاسم ولا أيضًا بغيره من الأسماء المعبدة لغير الله أيًّا كانت .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية **قال:** «**لما تغشاها آدم**» أي تغشى حواء؛ عاشرها وجامعها «**حملت**» أي وقع الحمل ، ومن نعمة الله سبحانه وتعالى أن جعل التناسل بذلك.
«**فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؛ لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيِّل**» والأيِّل هو الوعل ، نوع من الوحوش .
«**قرني أيِّل فيخرج من بطنك فيشقه**» أي أخذ يخوِّفهما بأنه يحصل له كذا ويحصل له كذا ويحصل له كذا .
«**فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن**» يعني يخوفهم بأشياء كثيرة جدا ؛ وهذه من طريقة الشيطان في إضلال الإنسان ومن مسالكه يدخل عليه من مداخل تخويف ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] .
قال «**يخوفهما سمياه عبد الحارث**» أي إن سميتماه عبد الحارث سلِم ولم يصِبه شيء من ذلك .
«**فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا**» أي قدَّر الله سبحانه وتعالى أن يخرج هذا المولود ميتا .
«**فخرج ميتا ، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا ، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} رواه ابن أبي حاتم**» أي في تفسيره .
قال: ((**وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته»**)) أي أن هذا الشرك – وقدَّمت أن هذا قول لأهل العلم أن المراد بقوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أن المراد بذلك آدم وحواء– فيقول قتادة رحمه الله «**شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته**» أي لم يقصدا حقيقة التعبيد لغير الله سبحانه وتعالى ، وإنما حصل هذا الشرك في الطاعة أي طاعته فيما دعاهما إليه ، ولهذا سيأتي معنا قول المصنف أن هذا الشرك في مجرد التسمية لم تُقصد حقيقتها ، لم يكن حقيقة التعبيد مقصودًا ومرادًا بتسميته عبد الحارث ،

وإنما أطاعاه في الاسم فقط فسمياه عبد الحارث ؛ فهذا شركٌ في الطاعة وليس شركًا في العبادة . قال قتادة «**شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته**».

قال : ((**وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: «أشفقا أن لا يكون إنسانا**»))
ومر معنا أن مما خوفهما به الشيطان قال : لأجعلن له قرني أيِّل ؛ أي وعل .
((**وذكر معناه عن الحسن**)) أي البصري ((**وسعيد**)) أي ابن جبير ((**وغيرهما**)) أي من علماء التابعين .

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسمٍ معبَّد لغير الله.

أي لا يستثنى من ذلك أي اسم لا عبد المطلب ولا غيره ، فجميع الأسماء المعبدة لغير الله محرمة ولا تجوز ، ولا يكون التعبيد إلا للمنعِم سبحانه وتعالى .

الثانية: تفسير الآية.

تفسير الآية : أي التي صدَّر به الترجمة وهي قول الله عز وجل ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ .

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسميةِ لم تقصد حقيقتها.

أن هذا الشرك في مجرد التسمية: في قوله ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ؛ فهذا الشرك في مجرد التسمية ؛ سمّياه عبد الحارث فأطاعاه في مجرد التسمية لا في حقيقة التعبيد لغير الله سبحانه وتعالى ؛ أن هذا الشرك في مجرد تسميةِ لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النِّعم.

أن هبة الله للرجل البنت السوية من النِّعم خلافًا لما يعتقده أهل الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل:٥٨-٥٩] ، فلا يعتبرون البنت نعمة بل يعتبرونها نقمة ، ويتوارى الواحد منهم من الناس من سوء ما بُشِّر به ، لأن هذه عندهم بشارة سيئة وليست مفرحة . فالبنت تُعد من النعم عندما يولد للإنسان البنت السوية

أي كاملة الخلقة ليس فيها نقص فهذه من النعم ، والله سبحانه وتعالى قال في الآية التي تقدم ذكرها في سورة الشورى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) ﴾ ؛ فالبنت هبة ومنَّة إلهية ينعِم بها سبحانه وتعالى على من شاء من عباده .

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة؛ كما نقل ذلك عن قتادة رحمه الله قال : «**شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته**». أي أطاعاه في مجرد التسمية ولم يطيعاه في حقيقة التعبيد لغير الله سبحانه وتعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى :

باب قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف:١٨٠] **الآية**

ذكر ابن أبي حاتم رضي الله عنهما عن ابن عباس: ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ : **يشركون. وعنه: «سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز». وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».**

****

قال رحمه الله تعالى : ((**بابٌ قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**)) ؛ هذه الترجمة عقدها الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لبيان وجوب تعظيم أسماء الله تبارك وتعالى ، وأن الله عز وجل له الأسماء الحسنى كما قال جل وعلا ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . وقوله ﴿ لِلَّهِ ﴾ أي أنها مختصة بالله عز وجل ، فهي له مختصٌ بها جل وعلا لا شريك له في أسمائه عز وجل ، ولهذا سيأتي أن من الإلحاد في الأسماء الشرك ؛ يشركون . فالله عز وجل له الأسماء الحسنى ومن تعظيمه تعظيم أسمائه الحسنى وما دلت عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال .

كذلكم مما قُصد بهذه الترجمة: أهمية فقه أسماء الله ومعرفة معانيها وإمرارها كما جاءت والإيمان بها كما وردت وإثبات ما دلت عليه من الصفات العليا لله جل وعلا ، لأن كل اسمٍ من أسماء الله تبارك وتعالى دالٌ على صفة كمال لله عز وجل ، فهي أعلام وأوصاف ؛ أعلامٌ من حيث دلالتها على الذات ، وأوصاف من حيث دلالتها على المعاني ، ليست أعلامًا محضة ، فمن الإيمان بها إثبات ما دلت عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال لله سبحانه وتعالى .

كذلكم من مقاصد هذه الترجمة: أهمية دعاء الله عز وجل بأسمائه ؛ وهذا يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة ، لقوله جل وعلا﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ؛ ادعوه بها دعاء عبادة تسبيحًا وتحميدًا وتهليلًا وذكرًا لله سبحانه وتعالى ، ودعاء مسألة بسؤاله سبحانه وتعالى بأسمائه ، وفي كل مطلوبٍ يُذكر من أسماء الله تبارك وتعالى ما يتناسب مع ذلك المطلوب؛﴿ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[المائدة:١١٤]،﴿ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩] ، اغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم ، وهكذا ؛ فيدعى سبحانه وتعالى بأسمائه دعاء عبادة تسبيحًا وتحميدًا وتهليلًا وذكرًا لله سبحانه وتعالى جل في علاه ، ويدعى دعاء مسألة بأن يُسأل تبارك وتعالى بأسمائه متوسَّلا إليه سبحانه وتعالى بها .

كذلك من مقاصد هذه الترجمة: التحذير من الإلحاد في أسماء الله ، قد قال الله عز وجل في هذه الآية الكريمة ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ، والإلحاد في أسماء الله جل وعلا هو الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها ، والملحد: هو المائل عن الحق والعادل عن طريق الهدى والصواب ، فالإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى هو الميل والعدول بها عن الحق الثابت لها ، ولهذا فإن الإلحاد في أسماء الله ليس نوعًا واحدًا بل أنواع ، كل ميلٍ بأسماء الله عن الحق الثابت لها يُعد إلحادًا ؛ فمن جحدها أو جحد ما دلت عليه من الصفات فإنه ملحد في أسماء الله ، ومن سمى غير الله بأسماء الله المختصة به سبحانه وتعالى كما وقع في ذلك المشركون ، سموا اللات من «الإله» ، وعزى من «العزيز» ، ومناة من «المنان» ، هذا إلحاد في أسماء الله ، من الإلحاد فيها التكذيب ، من الإلحاد فيها الإشراك ، فالإلحاد أنواع وليس نوعا واحدا ، ومن يلحدون في أسماء الله تبارك وتعالى لهم في هذا الإلحاد مسالك وطرائق ولهذا قال ابن القيم رحمه الله : «فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه» أي كلٌ له طريقة ، كلٌ له مسلك ؛ منهم من إلحاده تعطيل ، ومنهم من إلحاده تشبيه ، ومنهم من إلحاده تكذيب ، ومنهم من إلحاده شرك ، فكلٌ له مسلك في الإلحاد وسيأتي مزيد توضيح لذلك في الآثار التي نقلها المصنف رحمه الله تعالى عن أئمة السلف رحمهم الله في بيان معنى الإلحاد .

قال رحمه الله : ((**باب قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**)) خُتمت الآية بالتحذير من الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى بالميل والعدول بها عن الحق الثابت لها . والحق الثابت لها أن يؤمَن بها ، وأن تُثبَت كما وردت ، وأن يؤمَن بما دلت عليه من الصفات العظيمة والنعوت الجليلة لله تبارك وتعالى ؛ هذا هو الحق الثابت لها فمن عدل عن ذلك إلى أي مسلك آخر فإنه يكون ملحدًا .

وفي الآية تهديدٌ ووعيدٌ للملحدين في قوله أولًا ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ؛ هذا فيه تحذير من الإلحاد بنهي الله سبحانه وتعالى عن هذا المسلك ، وأن الواجب على المسلم أن يذر هذا الطريق وأن يبتعد عن أهله وأن يحذر منه أشد الحذر ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ، وفيما أيضا خُتم به السياق في قوله﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي سيعاقبهم الله عز وجل على ما وقعوا فيه من إلحاد في أسماء الله عز وجل . والخطأ في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته جل وعلا ليس كالخطأ في أي اسم آخر .

نقل رحمه الله تعالى نقولات عن أئمة السلف في معنى قوله﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال :

((**ذكر ابن أبي حاتم رضي الله عنهما**-أي في تفسيره-**عن ابن عباس:** ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ **يشركون**))

وقوله «﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يشركون» هذا نقله عن قتادة رحمه الله تعالى ، والذي جاء عن ابن عباس أنه قال : «الإلحاد: التكذيب» .

وأيضا نقل عن ابن عباس أنه قال : «**سمَّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز**». قال : **وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها»**.

هذه الأقوال لأئمة السلف رحمهم الله في معنى ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ليست متعارضة ؛ لأن الإلحاد كما تقدم ليس نوعًا واحدًا ؛ فكلٌ منهم فسَّر الإلحاد بذكر نوعٍ من أنواعه ، فهذه التفسيرات كلها صحيحة لأن كل ما ذُكر هو من الإلحاد في أسماء الله ، فهي ليست متعارضة وإنما كل منهم فسَّر الإلحاد بنوع من أنواعه ، فمن الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى الشرك «**﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون**» أي يتخذون الشركاء مع الله سبحانه وتعالى ؛هذا من الإلحاد في أسماء الله عز وجل ، لأن من فقه الأسماء الحسنى ودلالاتها العظيمة إخلاص الدين لله عز وجل وإفراده وحده بالعبادة ، ولهذا مما يُبطَل به الشرك ذكر أسماء الله الدالة على الوحدانية والتفرد ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩] .

وجاء عن ابن عباس أنه قال : «الإلحاد -أي في أسماء الله- التكذيب» ولاشك أن من كذب بشيء من أسماء الله الثابتة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو ملحد ، لأن من الإلحاد في أسماء الله التكذيب بها أو بشيء منها ، ويدخل في التكذيب تعطيل ما دلت عليه من الصفات ، فالتعطيل تكذيب وجحدٌ لأسماء الله أو جحد لما دلت عليه من صفات الكمال ونعوت الجلال .

قال: ((**وعنه**)) أي ابن عباس ((**سموا** -أي المشركون- **اللات من الإله، والعزى من العزيز**)) وهذا من الإلحاد ، لأن من الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى التشبيه ؛ تشبيه غير الله بالله ، بأن يسمى غير الله بأسماء الله سبحانه

وتعالى الخاصة به جل في علاه . قال ((**سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز ومناة من المنان**)) فهذا من الإلحاد في أسماء الله أن يشتق للأصنام أسماء من أسماء الله تبارك وتعالى .

قال : ((**وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها»**)) أيضا هذا من الإلحاد في أسماء الله أن يُدخَل في أسماء الله وان يسمى الله بما لم يسمِّ به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ؛ فهذا أيضا من الإلحاد . مثَّل ابن القيم رحمه الله لذلك قال : «مثل تسمية النصارى له أبًا، وتسمية أيضا الفلاسفة له العلة الفاعلة» أو نحو ذلك من الأسماء فهذا كله من الإلحاد فيها أن يدخل فيها ما ليس منها . فإذًا الإلحاد ليس نوعا واحدًا وإنما هو أنواع متعددة كما هو واضح من تفسيرات أئمة السلف رحمهم الله تعالى لقوله ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: إثبات الأسماء.

أي أسماء الله تبارك وتعالى وأنَّ إثبات أسمائه هو من الإيمان به ؛ فمن الإيمان به سبحانه وتعالى إثبات أسمائه الثابتة في كتابه والثابتة في سنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وإثباتها: بأن يؤمَن بها وتُثبت كما جاءت، وأيضا يُثبَت ما دلت عليه من الصفات العلا لله جل وعلا .

الثانية: كونها حسنى.

أي كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ، في القرآن أربع آيات هذه واحدة منها وصف الله سبحانه وتعالى فيها أسماءه بهذا الوصف «الحسنى» ، والحسنى: أي البالغة في الحسن تمامه وكماله وذلك بكونها دالة على صفات ، والصفات صفات كمال ، فلو لم تكن دالةً على صفات وكانت أعلاما محضة مجردة لا تدل على صفات لم تكن حسنى ، ولو كانت دالة على صفات لكنها ليست صفات كمال أيضا لا تكون حسنى ؛ فهي حسنى لأنها دالة على صفات كمال ، ولهذا كل اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى دال على ثبوت صفة كمال لله سبحانه وتعالى .

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الأمر بدعائه بها: أي في قوله سبحانه وتعالى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ، وهذا كما بيَّن أهل العلم يتناول دعاءه بها دعاء العبادة ذكرًا وتهليلًا وتسبيحًا وحمدًا وثناءً على الله سبحانه وتعالى ، ودعاء المسألة بأن يُسأل متوسلًا إليه سبحانه

وتعالى بذكر أسمائه ، ومن أعظم الوسائل التي يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بها : التوسل إليه بأسمائه كما قال الله جل وعلا في هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:١١٠] .

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

وذلك كما قال الله عز وجل ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى بأن يبتعد المسلم عن أهل المسالك الباطلة والطرائق الضالة ، ويتناول ذلك تركهم أي أشخاصًا بالبعد عنهم والحذر من مجالستهم وسماع أقوالهم ، ويتناول أيضًا ترك والبعد عما ألَّفوه من كتب وكتبوه من مؤلفات بثوا فيها إلحادهم وضلالهم وباطلهم ، فالله سبحانه وتعالى حذَّر عباده من هؤلاء وأمرهم بالبعد عنهم وتركهم قال: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ وهذا فيه وجوب البعد عن أهل الضلال وأهل الباطل ؛ أهل الإلحاد في أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته أيًّا كان نوع إلحادهم ، عرفنا أن الإلحاد ليس نوعًا واحدًا وإنما هو أنواع ، فأيًا كان نوع الإلحاد الشخص في أسماء الله فالواجب البعد عنه والحذر منه .

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

وقد نقل رحمه الله تعالى في تفسير الإلحاد فيها نقولات عن أئمة السلف ؛ عن ابن عباس وعن الأعمش ، فنقل نقولات عديدة عن أئمة السلف في معنى الإلحاد ، وعرفنا أنه يتلخص مما نقل عنهم رحمهم الله أن الإلحاد ليس نوعًا واحدًا وإنما هو أنواع .

السادسة: وعيد من ألحد.

وعيد من ألحد أي في قوله جل في علاه ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ؛ وهذا فيه وعيد لمن ألحد. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي سيجازيهم ويعاقبهم الله سبحانه وتعالى على هذا العمل الباطل الذي هو إلحادهم في أسماء الله سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .